على اهل البوادي و جعل تنكير الانعام والاناسي مبنيا عليه انما يلايم الاول قوله وتخصيصهم جواب
يقال كيف خص اهل البوادي بالاسقاء مع اهل المدن والقرى يحتاجون الى الشرب قوله وساير الحيوانات
اي ما عدا الانعام من الوحوش والطيور ولذا كانت تتعيش بالماء لكنه تعالى خص الانعام بالذكر لان سايرها
لا يعوزها الشرب ولا تكون عاجزا عن نيله غالبا يقال اعوزه الشيء اذا احتاج اليه فلم يقدر عليه قوله
مع ان مساق هذه الآيات وجه ثان لتخصيص الانعام بالذكر مع استوائها لساير الحيوانات في الاحتياج الى
الشرب وحاصله ليس المراد المقصود مجرد بيان الحكمة في انزال الماء بل المقصود تعداد ما يكون نعمة في
حق نوع الانسان فلذلك خصت الانعام بالذكر لانها قنية الانسان اي يقتنيها ويتخذها لنفسه لا للتجارة
الجوهري قنوت الغنم وغيرها قنوة وقنوة وقنيت ايضا قنية وقنية اذا اقتنيتها لنفسك لا للتجارة
وعلية جمع علي بمعنى شريف ورفيع مثل صبية جمع صبي قوله ولذلك اي ولكون علية ما يتعيشون
به الانعام قدم سقيها على سقيهم كما قدم على الانعام احياء الارض فان الارض وحياتها سبب لحيوة الانعام
وتعيشها فانظر الى انه تعالى كيف رتب ذكر ما هو رزق الانسان ورزق رزقه ورزق رزق رزقه فان الانعام
رزق الانسان والنبات رزق الانعام والمطر رزق النبات فقدم ذكر المطر ورتب عليه ذكر حياة الارض
بالنبات ورتب عليه ذكر الانعام قوله واناسي بتخفيف الياء عطف على قوله ونسقيه اي كما قرئ نسقيه بفتح النون
كذلك قرئ واناسي بحذف ياء افاعيل فذهب سيبويه الى ان اناسي جمع انسان اصله اناسين كسرحان و
سراحين فابدلت النون ياء وادغم فيها الياء التي قبلها كما قيل في جمع ظربان ظرابي اصله ظرابين و
الظربان على وزن قطران دويبة كالهرة منتنة الريح تزعم الاعراب انها تفسو في ثوب احدهم اذا صادها
فلا تذهب رائحته حتى يبلى الثوب وفي المثل فسا بيننا الظربان وذلك اذا تقاطع القوم وقال المبرد والفراء
والزجاج انه جمع انسي وفيه نظر لان فعالي انما يكون جمعا لما فيه ياء مشددة لا تدل على نسب نحو كرسي
جمع كراسي فلو اريد بكرسي النسب لم يجمع على كراسي ويبعد ان يقال ان الياء في انسي ليست للنسب وكان
حقه ان يجمع على اناسية نحو مهالبة في جمع المهلبي وازارقة في الازرقي قوله صرفنا هذا القول يعني ضمير صرفناه
انما ان يرجع الى ما ذكره بقوله هو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا
كانه قيل ولقد صرفنا ذكر انشاء السحاب وانزال القطر بين الناس في القرآن وفي ساير الكتب ليتفكروا
ويعتبروا او يرجع الى نفس الماء الطهور الذي هو المطر ومعنى تصريفه بين الناس انه لا ينزله على نسق واحد بل

ينزله

ينزله في مكان دون مكان وفي وقت دون وقت وعلى صفة دون صفة فيقسمه بين العباد على هذا الوجه
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ما عام باكثر مطرا من عام ولكن الله يصرفه في الارض ثم قرأ هذه
الآية وروي ابن مسعود عن النبي عليه السلام انه قال ما من عام بامطر من عام ولكن اذا عمل قوم بالمعاصي حول الله
ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف الله ذلك الى الفيافي والمراد باختلاف صفة المطر كونه تارة وابلا
واخرى طلا ومرة ديمة مثلا والوابل المطر الشديد والطل اضعف المطر والديمة المطر الذي يدوم زمانا
او في الانهار والمنابع عطف على قوله في البلدان المختلفة اي ويجوز ان يكون المراد بتصريف المطر بين الناس
اجراؤه في الانهار والمنابع لينتفعوا به بوجوه الانتفاع من الشرب وسقي الزروع ونحوها قوله بخلاف من يرى
انها اي من يرى ان الله تعالى هو الذي خلق الامطار وجعل الانواء دلايل وامارات عليها لا يكفر والحاصل
ان المراد بالكفور اما كفران النعمة وقلة المبالاة بشانها فان حقها ان يتفكر فيها ويستدل بها على
وجود الصانع وقدرته واحسانه ويشتغل بشكر احسانه ومن لم يشتغل بها وقصر في شكر منعمها فقد
كفر بحق النعمة واما الكفر بالله بان يقول مطرنا بنوء كذا ويسند مثل هذه النعمة الى الافلاك و
الكواكب ويجحد كونها صادرة من الله فانه لا شك انه كافر بالله والانواء النجوم التي يسقط واحد منها
في جانب الغرب وقت طلوع الفجر ويطلع رقيبه في جانب المشرق في ساعته والعرب كانت تضيف
الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها وقيل الى الطالع منها ثم انه تعالى لما بين
دلائل وحدانيته وقدرته شرع في تعظيم رسول الله عليه السلام فقال ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا
كانه قيل ولو شئنا لخففنا عنك اعباء الرسالة الى كل العالمين بان بعثنا في كل قرية نذيرا
ولكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك لان مجاهدة السفهاء بالحجج لم تحمل المجاهدة الموعود بها
على المجاهدة بالسيف لان السورة مكية والامر بالقتال انما ورد بعد الهجرة بزمان فما بيني
اظهرهم خبر قوله ولان مخالفتهم ولا شك ان مخالفة عتاة الغالبين فيما بينهم اكبر الجهاد
اولانه جهاد مع كل الكفرة فيكون ضميره في قوله وجاهدهم به راجعا الى ما دل عليه قوله ولو شئنا
لبعثنا في كل قرية نذيرا وهو كونه نذيرا كافة القرى فانه لو بعث في كل قرية نذير لوجب على كل
نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من اجل
ذلك فلذلك قال له جاهد بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا للمجاهدات

مخطوطات جامعة الرياض
Copyright © King Saud University